

إشكالية الوحدة: بعد توقيع معاهدة الحماية شرعت فرنسا وإسبانيا في استغلال الثروة الاقتصادية المغربية، ولذلك وضعت أجهزة إدارية وهياكل اقتصادية لتحقيق أهدافهما. فما هي الوسائل التي اعتمدتها السلطات الاستعمارية لاستغلال المغرب؟ وما هي مظاهر الاستغلال الاستعماري؟ وما هي النتائج الاقتصادية والاجتماعية التي ترتبت عن الاستغلال الاستعماري الفرنسي-الإسباني؟..

#### I. الوسائل-الآليات-التي اعتمدها فرنسا وإسبانيا لاستغلال المغرب.

المؤسسات المالية: تتمثل في البنك المخزني الذي أنشأ طبقاً لمؤتمر الجزيرة الخضراء، وامتلكت فرنسا جزءاً مهماً من رساميلها، ومهمته إحداث إصلاحات مالية وتقديم القروض للمخزن المغربي. إضافة إلى مراكز أو فروع بعض المؤسسات المالية الأخرى كالشركة الجزائرية و القرض العقاري للجزائر وتونس والشركة المرسلية للقرض وغيرها، كانت تقدم المساعدات المالية للشركات الاستعمارية والأفراد الأجانب قصد إنجاز مشاريعهم الإنتاجية الفلاحية والصناعية والتجارية. وبذلك نمت الاستثمارات العمومية والشبه عمومية والاستثمارات الخاصة.

الشركات الرأسمالية: وهي الشركات المترو بولية تخطط وتنفذ الأشغال الرأسمالية الكبرى في المغرب، ثم تصدر المواد الفلاحية والمعدنية نحو فرنسا، وتسوق في المغرب منتجات الصناعة الفرنسية، فضلاً عن التجهيز التقني العصري لمختلف وحداتها الإنتاجية بالمغرب، وذلك على نفقات الدولة الفرنسية وإقامتها العامة في المغرب. وقد ساعد ذلك على تطور الاستثمارات العمومية والشبه عمومية والاستثمارات الخاصة.

السياسة الجبائية: نظمت فرنسا ضريبة الترتيب، وتؤدي في البوادي على المواشي والمزروعات حسب المساحة والإنتاج والمردود، وفي المدن تشمل ضرائب مباشرة كالضريبة الحضرية والضريبة المهنية وضريبة السكن، والضرائب غير المباشرة كحقوق الأبواب والأسواق والضرائب التي تفرضها البلديات. وخلال الحرب العالمية الثانية فرض على المغاربة أداء تبرعات الدفاع والإخاء. وقد حصلت فرنسا على مداخيل ضريبية مهمة طيلة مدة استعمارها للمغرب.

تشبيد التجهيزات والأشغال العمومية الكبرى: وظفت الإدارة الاستعمارية الرساميل العامة والخاصة في إقامة التجهيزات الأساسية والأشغال العمومية كالطرق المعبدة والطرق الثانوية، والسكك الحديدية والموانئ والمطارات ومراكز البريد والمدارس والمستوصفات وتشبيد السدود على الأنهار المغربية المهمة-انظر الجدول ص 85- لتوفير الماء للشرب والسقي والكهرباء. وقد أنجزت الأشغال السالفة الذكر داخل ونحو المناطق التي تتوفر على المؤهلات الفلاحية والمعدنية أي ما كانت تسميه فرنسا بالمغرب النافع.

السياسة الأهلية: يعتبر الجنرال ليوطي Lyautey أول مقيم عام (1912-1925) بالمغرب بالسلطاني، وضع الأسس التنظيمية لسياسة الحماية من مظاهرها: الحفاظ على موظفي المخزن (الباشا، المحتسب، أمين المستفاد...) في موازاة إحداث أجهزة الحماية، واستمالة الأعيان والقياد كالكلاوي والكندافي والمتوكي، كما حرص على احترام الشؤون الدينية والقضائية للمغاربة، فضلاً عن إظهاره للمساواة بين المغاربة والفرنسيين....

#### II. مظاهر الاستغلال الاستعماري.

##### (1) الاستغلال الفلاحي:

اعتمدت الإدارة الاستعمارية وسائل متنوعة لهيمنة على الأراضي الفلاحية المغربية ومنها:  
قانون التحفيظ العقاري في 12 غشت 1913: أصبح بموجب كل قطعة أرضية سنداً عقارياً يحمل اسماً ورقماً وتصميماً، وبموجبه تمكن المعمارون من الأراضي بسبب جهل المغاربة بهذا الإجراء القانوني.

عملية الشراء والرهن والمخالطة: اعتمد المعمارون هذه الأساليب للاستحواذ على الأراضي الفلاحية الخصبة، حيث اشتروا مساحات فلاحية باثمنة هزيلة، كما أغروا المغاربة بنظام المخالطة والمشاركة في عملية الإنتاج الزراعي وتربية الماشية. و اغرقوهم بالقروض، مما جعلهم يرهنون أراضيهم أو يتخلون عنها قسراً في حالات عجزهم عن تسديد الديون للمعمارين.

نظام الاستعمار الرسمي: استولت سلطات الحماية على الاستعمارية على أراضي الجماعات في البوادي والمدن المغربية بدعوى المصلحة العامة أو بذريعة مقاومة أبناء تلك المناطق للاحتلالين الفرنسي والإسباني.

نظام الاستعمار الخاص: شجعت سلطات الحماية الفرنسية والإسبانية رعاياها على الاستيطان بالمغرب ومكنتهم من الإمكانات المالية وأنجزت لهم الأشغال العمومية في الأراضي والمناطق التي رحلوا منها السكان الأصليين الحقيقيين بطرق الشراء المغربي أو الترحيل القسري. وبذلك حصلوا على استغلايات مهمة فاقت استغلايات الاستعمار الرسمي بمناطق المغرب في المغرب الشرقي و فاس ومكناس والرباط والدار البيضاء ومراكش وأكادير وغيرها.

مجالات الاستغلال الفلاحي: اهتمت السلطات الاستعمارية والمعمارون بالزراعة التسويقية الموجهة للتصدير نحو الأسواق الفرنسية والإسبانية وغيرها، مثل زراعة القطن والتبغ والكتان والكروم والحوامض.... في الوقت الذي همشت فيه الزراعات المعاشية التي كان المغاربة يقتاتونها-، وقد شيدت لها سدود مهمة بأنحاء مختلفة من المغرب-انظر جدول ص

85- كما اعتمدت التقنيات والآلات العصرية المكثفة في جميع مراحل العمليات الإنتاجية من الحرث والغرس والسقي والحصاد.. كما قام الأسطول البحري الاستعماري باستنزاف الثروة السمكية المغربية في السواحل والأعماق البحرية والمحيطية.

### (2) الاستغلال الصناعي :

تجلى الاستغلال الصناعي في نهب الثروة المعدنية والطاقة المغربية من طرف الشركات الاستعمارية، فشرية اسبانيا لمناجم الريف استنزفت معدن الحديد من مناجم ويشن بالناظور، والمكتب الشريف للفوسفات نهب معدن الفوسفات من مناجم خريبكة وغيرها منذ سنة 1922... انظر الوثيقة 1 ص 87. وكانت أهداف سياسة الاستعمار التصنيعية هو إقامة الصناعات المرتبطة بالمواد الفلاحية والمعدنية المصدرة إلى البلدان الأم فرنسا واسبانيا وجعل المغرب سوقا استهلاكية للمنتجات الصناعية الاستعمارية المستوردة. وفي هذا الصدد تم الاهتمام بالصناعة المنجمية الاستخراجية - الفوسفات بخريبكة + الحديد بوازيم + الفحم بجرادة + البترول بسيدي قاسم. والصناعة الغذائية - السكر بالدار البيضاء + القيق بمكناس وتطوان + المشروبات الغازية كالجعة والخمر بمكناس وطنجة - وصناعات أخرى كالنسيج والاسمنت... انظر الوثيقة 2 ص 87.

(3) الاستغلال التجاري: شجعت السلطات الاستعمارية الجالية الأجنبية على إقامة محلات تجارية صغيرة وكبرى تباع بالتفصيل والجملة وتقوم بعمليات السمسة والمبادلات التجارية بحيث تسوق المنتجات الصناعية المستوردة بالأسواق المغربية - المواد الغذائية كالسكر والشاي والقطاني... والملابس والآلات التجهيز، في الوقت الذي تزود فيه البلدان الاستعمارية الفرنسية والاسبانية بالمواد الفلاحية - البواكر والحوامض والصوف - والبحرية كالأسمك والمعدنية الفوسفات والحديد والمواد الطاقية كالفحم.

وكانت المبادلات التجارية تتم بطرق استغلالية بشعة للمغرب ، بحيث تصدر كميات مهمة من المواد الأولية من المغرب بأثمنة ضعيفة، في الوقت الذي تستورد المواد المصنعة إلى المغرب بكميات قليلة وبأثمنة مرتفعة، مما كان يترتب عنه عجزا مزمنًا للميزان التجاري المغربي طيلة خضوعه للحماية الاستعمارية الفرنسية الاسبانية.

### III. نتائج الاستغلال الاستعماري.

#### (1) النتائج الاقتصادية:

هيمنة الأجانب على أجود الأراضي : استحوذت السلطات الاستعمارية على أراضي المغاربة بوسائل مختلفة، وقامت بتوزيعها على المستوطنين الفرنسيين والاسبان وعلى الأعيان والقياد المغاربة الذين استقطبتهم سلطات الحماية لخدمة مصالحها .  
التركيز على الفلاحة العصرية التسويقية وتهميش الفلاحة المعاشية التقليدية مما عرض المغاربة لمحن اجتماعية متعددة - المجاعة الموت....

منافسة البضائع العصرية الأجنبية للحرف التقليدية المغربية : تقاطرت على الأسواق المغربية في البوادي والمدن منتجات أجنبية مختلفة مما ساهم في إفلاس المنتجات الحرفية الداخلية.

تقنين استهلاك المواد خلال فترات الأزمات : قامت السلطات الاستعمارية في المدن والقرى المغربية بسن تشريعات زجرية على استهلاك المواد الأساسية ومن أمثلة ذلك ورقة البون المعتمدة على الحبوب والدقيق وغيره.  
ارتفاع الأسعار وانخفاض أجور العمال .

#### (2) النتائج الاجتماعية:

تضرر الفئات الاجتماعية المغربية :

الفلاحون فقدوا أراضيهم قسرا وتحولوا إلى معدمين أو إلى مأجورين بؤساء لدى سلطات الحماية أو يقومون بأعمال السخرة لصالح القواد والمعمرين. وفرضت عليهم ضرائب مجحفة كضريبة الترتيب والعشور، و ضرائب للقيام بالإصلاحات أو لإنشاء الطرق وتشبيد البنايات الرسمية كالثكنات العسكرية ، تم التوزيع وهي العمل الجماعي المجاني الذي كان يقوم به رجال ونساء القبائل في ضيعات ومناجم المعمرين .  
الحرفيون أفلسوا بسبب ارتفاع اسعار المواد الأولية التي كانوا يستعملونها - الخشب. الصوف. المعادن... - ومنافسة البضائع الأجنبية لمنتجاتهم الحرفية.

التجار أفلسوا بسبب هيمنة المحلات التجارية والشركات الكبرى الأجنبية.

العمال استغلوا أشنع استغلال، أجور ضعيفة، ساعات عمل طويلة، انعدام التأمين والحق النقابي، طرد وبطالة ، فقر وبؤس ومجاعة، وتكدس في أحياء الصفيح) باشكو، كاريان سنترال، بن مسيك... (.. ورغم تلك المصاعب فقد خرجوا في مظاهرات وإضرابات مطلية كإضراب العام بتطوان سنة 1930 . وإضراب ابريل 1948 لعمال مصانع السكر والحديد بالدار البيضاء وعمال مناجم الفوسفات بخريبكة والفحم بجرادة . وإضراب عمال الدار البيضاء في 8 دجنبر 1952 للتنديد باغتيا لسلطات الحماية الفرنسية الزعيم النقابي فرحات حشاد.

انهيار نظام الجماعة وتنامي الهجرة القروية نحو المدن.

ضعف الخدمات الصحية والتعليمية للسكان المغاربة .

ظهور برجوازية مغربية مكونة من الأعيان والقواد، اغتنت بفضل خدماتها لمصالح وأهداف السلطات الاستعمارية .

خاتمة: اعتمدت سلطات الحماية الفرنسية والاسبانية وسائل إدارية وتنظيمية، ومالية وعسكرية... لاستغلال الثروة الفلاحية والمعدنية والطاقية والبحرية المغربية، ونجم عن ذلك تضرر المصالح الاقتصادية والاجتماعية للمغارة طيلة فترة الحماية الاستعمارية 1912-1955